



نوفيللا

ضمير الغائب

"غادة الحداد"

اسم الكتاب / ضمير الغائب

اسم المؤلف / غادة الحداد

سنة النشر / ٢٠٢٢

مصممة الغلاف / أميرة محمود

تنسيق / يوسف عادل

الجهة الناشرة / دار تراث للنشر الإلكتروني

مدير عام الدار / المهندسة أميرة محمود فتحي

رئيس مجلس إدارة الدار / عبد الرحمن محمد

دار تراث للنشر الإلكتروني

[/Website/https://torathbookstore.blogspot.com](https://torathbookstore.blogspot.com)



إهداء

إلى ضمير الغائب

إلى he

هذا ليس خطأ كتابياً

فنحن نستخدم he للتعبير عن ضمير الغائب

في اللغة الانجليزية

وإلى المُعلِّم الذي أخبرني يوماً

أني من فرط المثالية سأصرخ ولن يتجاوز صوتي سقف غرفتي

أنا اليوم أتحدث فقط

فيتجاوز صوتي العالم

خدعوك فقالوا

أنّ للغائب ضمير

المقدمة

بعض الطرق ليست لنا ومحاولة قطع خطوات فيها مضيعة للوقت.

تخيل أن تمضي حياتك سيراً في طريق نهايته واضحة وتحاول بشتى

الطرق تغيير تلك النهاية لكن دون فائدة.

كان عليك التراجع منذ اللحظة الأولى لكنك قررت المضيّ قدماً دون

أن تعباً بالعواقب والآن أنت عالق في منتصف الطريق.

تائه لا تستطيع الاستمرار ولا يوجد سبيل للعودة، أنت فقط تنتظر

الخلاص

ولا تدري إلى متى ستظل هكذا.

تذكّر.. إحداهنّ كانت أيضاً هنا.

غاده الحدّاد

في إحدى القرى المصرية البسيطة وُلدت فتاه جميلة ذات عينين

زرقاوتين وبشرة بيضاء كالثلج تُدعى رؤى.

كانت رؤى مثال للفتاه اللطيفة المهذبة التي تمضي وقتها بين الكتب

تبحث هنا وهناك عن روحها فالكتب هي رفيق الوحدة الأفضل.

لم تمتلك رؤى سوى صديقة واحدة لأنها تميل للانطواء وتبدو حادة

الطباع أحياناً فلم ترغب الكثير من الفتيات في التعامل معها عدا

زينب التي ساندتها في أصعب الأوقات ولم تفلت يدها قط.

زينب لم تكن فتاه عادية، بحكم تلقّيها التربية على يد جدّها امتلكت

من الحكمة وصفاء العقل الكثير ولم تتردد في إبداء رأيها في

موضوعات مختلفة تخصّ الكبار.

حجابها كان مثالياً لفتاه في عمرها ولم تحاول الحديث عنه مع رؤى

لكنها أخبرتها يوماً أنّها كانت لتبدو أجمل لو غطّت شعرها ولم تحزن

حين لم تهتم رؤى بالحديث لكن مع مرور الأيام بدأت رؤى في

استخدام وشاح وجدته في غرفة أمها فكان يغطي شعرها عدا
مقدمة الرأس مما جعل زينب تشعر بالسرور وأنها خطوة رائعة في
طريق الحجاب.

تلك الصداقة استمرت لأعوام حتى كبرت الفتاتان وتقدم الرجال
لخطبتهم وتمت خطبة رؤى أولاً فتغيّر موضع الأحاديث وكادت تندر
بمرور الوقت.

تمت خطبة رؤى على شاب يُدعى أحمد من قرية مجاورة وكان أحمد
قد أنهى دراسته على عكس رؤى واتفقت العائلتين أن تكون مدة
الخطبة عام إلى أن تنهي رؤى دراستها.

أحمد لم يكن شاباً عادياً، كان مهووساً بالسياسة حتى أنه كان
يستخدمها في أحاديثه مع رؤى لكنها لم تكن سهلة الإقناع كما
وصفها.

أمضى كلاهما الفترة الأولى في التناوش بخصوص موضوعات
مختلفة ولم تنفك رؤى تخبره أنّ تلك الخطبة لن تكتمل لأن قلبها

يخبرها بذلك دائماً ولا تعرف سبباً لذلك لكنه لم يستمع لها وكان
يخبرها أنه سيعود إليها دائماً وأنها لن ترفض لأنّ سحر عينيه لا
يُقاوم.

- ذلك المخادع!

ماذا قلتي؟

- لا شيء يا أمي

سمعت ذلك، سمعت كلمة مخادع

- أنا أمزح فقط

من تعنين بكلمة مخادع؟

- ما بك يا أمي! قلت لك أمزح

أنا أعني سؤالي

- حسناً، أقصد أحمد

ولم تظنين أنه مخادع!

- كانت مزحة! أقصد أنه يعرف كيف يستدرجني بالحديث كل

مرة

وكيف يفعل؟

- ولماذا تهتمين؟!

ما قصدك! أنا دائماً أهتم بكِ

- منذ متى؟ أنتِ لا تعرفين عني شيئاً، وأبي لا يعرف سوى العمل

لا تكوني جاحدة يا رؤى، إننا نفعل كل شيء لأجلك

- حسناً يا أمي، لن أخوض هذا الحديث الآن فلديّ مُحاضرة

اعتني بنفسك

- أنا دائماً أفعل

لم تكن العلاقة بينهما جيدة، دائماً ما كانت أمّها تخبرها أنها تذكّرها

بشخصية لم تحبّها قط لكنها بالطبع تتقبل ابنتها لما هي عليه.

تلك العلاقة المتوترة أدت لذهاب رؤى للطبيب النفسي دون أن تخبر

أهلها بالطبع.

أثناء التوجه للكلية هاتفتها زينب لتخبرها أنه تم تأجيل اختبار
الشفوي لأن المعيد مريض وطلبت منها أن تحضر طعاماً في طريقها
لكن قررت رؤى أن تتأخر على صديقتها قليلاً وتمرّ بالطبيب لأن
تأجيل ذلك بعد المحاضرات سيؤدي لمعرفة أحمد الذي يأتي ليقلمها
أثناء عودته من العمل.

ذهبت رؤى إلى العيادة فوجدتها فارغة على غير العادة فقررت طرق
باب الغرفة ربما يكون أحدهم بالداخل فوجدت الطبيب يرد.

- ادخل

السلام عليكم دكتور نادر

- أهلا رؤى، كيف حالك؟ تفضلي بالجلوس

بخير إلى حدٍ ما

- كان موعدنا الخميس القادم

أجل، لكن لم أستطع الاستمرار حتى الموعد

- ما بك؟ هل كل شيء على ما يرام؟

ليس بالضبط، تشاجرت مع أمي كالعادة لكن ليس هذا ما

جئت بخصوصه.

- إذا ما هذا الأمر الطارئ؟

أحمد، خطيبي

- ما به؟ هل تشاجرتم أيضاً؟

بالطبع لا، أحمد لا يتشاجر معي مطلقاً. أتمنى أن يفعل يوماً

- ولماذا تلك الأمنية!

لكي أعرف ما بداخله، انه يتمسك بي وكأنه ليس بالعالم

سواي على الرغم من أنّ بنات خالاته جميلات لأبعد حد

- ربما لأنه يحبك

لا أريد أن يحبني، لا أريد ذلك. أنت تعلم أنني وافقت لكي

تتوقف أمي عن إزعاجي، أردت دائماً أن يقرر الرحيل فجأة

فأخبرها أنه خطأه و أنني أريد هدنة عشرة أعوام قبل أن أرتبط

مرة أخرى

تصاعدت ضحكة من فم الطبيب وقال لها:

- عشرة أعوام! أنتِ قاسية جداً، وما هورأي زينب في ذلك؟
انها ترى أني محظوظة لأنه لدي شخص يُدعى أحمد وليس

خائناً

- محقة بالطبع

لا أمزح، أنا حقا لا أرى سببا لكي يتمسك بي هكذا

- أتعلمين يا رؤى؟ تذكيريني بامرأة أحببتها

حقاً؟ وكيف كانت؟ ولم لم تتزوجها؟

- لأنه لا يمكننا الزواج من الأموات

أسفة لأجل ذلك

- لا تكترثي، كان ذلك منذ 20 عاماً

كان قبل مولدي إذن. لكن لماذا لم تتزوج منذ حينها؟

- لم أستطع تخيل فكرة لمس امرأة أخرى، لم يتسنى لي حتى لمس

حبيبة.

رائع! هل كان اسمها حبيبة؟

- يبدو أنني قلت الاسم بصوتٍ عالٍ. أجل كانت حبيبة

هل تظن أنني مثلها؟

- لا يمكنك أن تكوني مثلها، ربما تتشابهين معها في بعض الطباع

لكنها كانت حبيبة للجميع و أنتِ رؤى ويجب أن ينال كل

شخص بعض الحظ من اسمه وأظن أنكِ تفعلين فأنتِ

تمتلكين الكثير من الرؤى في الحياة.

أتمنى أن أكون كذلك فعلاً. والآن حان وقت الرحيل فزئب

تتضور جوعاً وأحمد سيتصل بعد قليل.

- أراك الأسبوع القادم

أجل لتكمل لي قصة حبيبة

- سنرى بشأن ذلك

إلى اللقاء

- إلى اللقاء



نحن نعشق الأشياء التي لا نقلق بشأنها.

يكفيينا من تلك العلاقات أن نكون مطمئنين لا أكثر.

رنّ هاتف رؤى إنذاراً بمكالمة من أحمد الذي استيقظ في المساء

قلقاً وأراد الاطمئنان عليها.

- مرحباً أحمد



مرحباً رؤى، افتقدتك

- كنت معك بالصباح

أفتقدك وأنتِ معي أيضاً

- وهل هاتفتني لأنك تفتقدني!

رأيت كابوساً، رأيتكِ ترحلين

- هذا ليس كابوساً، إنه فقط انذار لكنك تتعمد تجاهل

الإشارات

أنتِ تعلمين أني لن أتركك بسهولة. لماذا ترغيبين بالرحيل؟

- خوفاً عليك. فأنا لا أستطيع الالتزام بعلاقة لمدة طويلة كما أنّ

بداخلي الكثير من المخاوف ولست مجبراً على خوض تلك

التجربة.

أستطيع ابتلاع تلك المخاوف من داخلك لكنك لا تشاركوني

شعورك ولم تفكري في إخباري أسباب خوفك.

- ولماذا تودّ فعل ذلك؟ لم لا تختارفتاه أخرى أهدأ بالاً!

لأنني ببساطة أحب تلك القطة الخائفة التي أحادثها الآن.

تحوّل مجرى حديث أحمد ورؤى إلى الحديث عن الدراسة
والمستقبل بشكل يخالطه بعض المزاح و أثناء ذلك سمعت رؤى
سقوط شيء على الأرض فقررت إنهاء المكالمة.

- أحمد، سنتحدث فيما بعد.

ماذا حدث؟

- لا شيء، سأهاتفك غدا

حسناً تصبحين على خير

- وانت أيضاً

أغلق أحمد الهاتف وهو يعلم بلا شك أنّ رؤى تخفي شيئاً ما.

تتبع رؤى الصوت فوجدته يأتي من الغرفة المغلقة التي لا يدخلها
أحد أفراد المنزل ولا حتى عمّال النظافة أو الطباخ وذلك أمر مشدد
من أبيها لأسباب غير واضحة.

قررت أن تدخل الغرفة لكنها سمعت همس من خلف الباب فوقفت

بعيداً لتعرف من المتحدث ووجدت أنهما أبيها وأمها وبدا ذلك

شجاراً بدون صوت واضح.

اشتعل الحديث بينهما فقررا إكمال الحديث بالخارج ومن فرط

العصبية تركا باب الغرفة مفتوحاً مما جعل المهمة سهلة لدخول

رؤى ومعرفة ما الذي كان يختبئ خلف باب تلك الغرفة لأعوام.

دخلت رؤى بكل حذر فوجدت الغرفة مظلمة وحاولت استخدام

ضوء هاتفها فوجدت خزانة بعض أدراجها مفتوحة والباقي مغلق.

نظرت في الأدراج المفتوحة فلم تجد سوى بعض الكتب وأجندة

يغطيها التراب تبدو وكأنها مذكّرات أحدهم فقررت الاحتفاظ بها

وحين همّت بترك الغرفة شعرت وكأن شخصاً ما يقف خلفها وهمس

بصوتٍ منخفضٍ "اهربي".

أصاب رؤى الرعب ولم تشعر بنفسها وهي تهرول بأقصى سرعة حتى

تختبئ خلف غطاء سريرها كأنها تحتني به.

أخفت الأجندة التي وجدتها حتى لا تجدها أمها وتدرک أن روى زارت
تلك الغرفة السرية رغم التحذيرات.

أمضت الليلة في محاولة النوم لكنها لم تستطع ذلك وباغتها صوت
المنبه لتستعد للذهاب للجامعة.

قابلت زينب التي عرفت من اللحظة الأولى أن روى لم تنم تلك الليلة
فسألها عن السبب.

- تبدين مرهقة جداً، ماذا حدث؟

لم أنم البارحة

- لكن ليس لدينا اختباراً اليوم. لماذا بقيتي مستيقظة؟

لا أستيقظ لأجل الاختبارات. كنت خائفة فقط.

- من ماذا؟

اتذكرين حين أخبرتك بأمر غرفة سرية في بيتنا يسبقها ممر

مظلم

- لا تقولي لي! هل دخلتي؟

أجل فعلت

- لم فعلتي ذلك؟ ألم يحذرك أباك وأمك!

قصّت رؤى على زينب ما حدث فأخبرتها زينب أنه كان يجب عليها الاستماع لأهلها وأنها ربما توهمت من فرط التفكير في تلك الغرفة وإلى أي حد تكون مخيفة لكنّ رؤى لم تقتنع وأخبرتها أنّها تعرف مع مَنْ تتحدث لكي يخبرها بما عليها أن تفعل.

ظنت زينب أنّ رؤى تقصد أحمد فلم تعقب لكن بالطبع شعرت بالقليل من الغيرة فتلك كانت المرة الأولى التي تقرر فيها رؤى أن تستمع له على عكس صديقتها.

رحلت رؤى وأخبرت زينب أنها ستوافيها بعد المحاضرة الأولى ولم تخبرها إلى أين ستذهب.

قررت الذهاب لزيارة طبيبها النفسي وأخبرته ما حدث فجاء رده عكس توقعها تماماً

- ربما تلك الغرفة مسكونة

هل يؤمن الأطباء النفسيون بالأشباح؟

- لم أقصد مسكونة بالأشباح، هي فقط مسكونة بمخاوفك

ماذا تقصد؟

- أنتِ تخشين أنهم يخفون عنكِ شيئاً ومحاولاتهم المستمرة

لمنعك من الدخول أصابتك بالفضول وحين دخلت شعرتي

بالخطر يحدّق بكِ لكن صدقيني ما هي إلا بعض المخاوف.

إذا تظن أني أتوهم!

- لا لم أقل ذلك، عليكِ بلا شك التخلص من تلك المخاوف حتى

لا تسيطر عليكِ.

خرجت رؤى من عند الطبيب وبدأ خلعها الكثير من التساؤلات وقررت

أن تبدأ قراءة تلك المذكرات لعلها تجد الأجوبة التي بحثت عنها

لوقتٍ طويل.

أحضرت كوب قهوتها وأغلقت باب الغرفة جيداً وأحضرت تلك
الأجندة وبدأت في القراءة.

"تذكّري دائماً أنّ إحداهنّ راودتهُ عن قلبه، فلم يستعصم"

تلك كانت العبارة الأولى في مذكرات فتاه تُدعى "حبيبة مصطفى
السيد".

دع عنك الحقائق المؤلمة واسبح معي بخيالك قليلاً

أتذكر تلك النكبة التي وقفت في منتصف روحك واعتصرت قلبك

بكل قوة؟

لقد مرّت، وستمرّ أنت أيضاً.

تلك المحاولات الباهتة لإعادتهم لحياتك رغم صرفهم الدائم عنك ما

هي إلا محض غفلة، أجل أنت مغفل! تظن أن نبش القبور عن

مشاعر قديمة سيعيد الحياه لقلبك لكنه سيعيد دفنه بطرق أكثر

إبهاراً.

مَن الذي يعيد الرفاق إلى الأماكن التي فارقناها؟

من سيعيد ذلك الصوت الذي اخترق ثنايا روحك!

حين لا تجد إجابات لتلك الأسئلة، ارحل.

ارحل دون ندم.

ستعود.

ستعود تلك التي دمّرت كل شيء بداخلها.

● ● ● ضمير الغائب _____

ستكون عودتها مدوية ذات صدى عظيم لن تدركه مسامعك بل

خلجات نفسك.

ستمرّ بها قافلة الحب لتنتشل روحها من غيابة الجُب.

تذكّر.. أنّ كل الاحتمالات لا تؤدي إليك و أنك فقدتها بكامل إرادتك

فلا تحاول العودة إليها ولو في أحلامك.

العالم ليس منصفاً يا عزيزي!

قررت رؤى أن تعرف القصة الكاملة لحبيبة لأنها لم تصدق أنها

انتهت إلى هذا الحد.

ظلت تتساءل لأيام متتالية عن سبب وجود تلك المذكرات في غرفة

مظلمة في بيتهم وعن سبب المحاولات المستميتة ألا يجدها أحد.

عزمت على دخول تلك الغرفة مرة أخرى وألا تخرج دون سبب مقنع

لإخفاء قصة تلك المرأة عنها.

لفت انتباهها من الوهلة الأولى تشابه اسم صاحبة القصة مع اسم

السيدة التي حكى عنها طبيبها النفسي.

أيعقل أنّ تلك كانت مجرد مصادفة أو تشابه أسماء!

لتعرف ذلك عليها أن تذهب إليه وتتحدث معه.

مرّ أسبوعاً بأكمله ولم يأتيها خبر من الطبيب فقررت أن تهاتفه
لتحجز موعداً لكن أتى ذلك بالرفض المهذب لأنه قرر السفر
للإسكندرية للانتهاء من بعض الأمور.

لم تستطع رؤى انتظاره فقررت الذهاب إليه بنفسها مما نال
الرفض من أمها بالطبع لكنها لم تيأس وطلبت تدخل أحمد الذي
عرض إيصالها بنفسه حين أخبرته أنها زيارة لصديقة تحتاجها بشدة
وأنه بإمكانها الإقامة عند خالتها حتى العودة فوافقت أمها من
شدة الإلحاح.

أثناء الرحلة كان أحمد ينظر لها وكأنه يراها للمرة الأخيرة فقررت أن
تبدأ الحديث لتعلم ما يدور في عقله.

- ما بك يا أحمد؟ لماذا تنظر لي هكذا!

أشعر وكأنني لن أراك مرة أخرى

- ولم تشعر بهذا؟ لا تقلق سأعود

ستعودي، لكن ليس إليّ

- هذه المرة الأولى التي تبدو متشائماً

أشعروك أنك ستعودين شخصية أخرى مختلفة تماماً لا تعباً

بشيء

- لا تبالي يا أحمد، ربما لن أعبأ بشيء لكن سأظل أعبأ بك

وبزينب

زينب صديقتك يا رؤى لكن أنا خطيبك لست مجرد صديق

- أحمد، أردت إخبارك بشيء بمجرد الوصول لكن يبدو أنه لا

يوجد وقت.

ما هو هذا الشيء؟

- أنا أحبك.

ماذا قلتي؟

- أحبك يا أحمد وأعلم أنك سمعتني جيداً. أعلم أنني لن أجد

مثلك وأنت لطيفاً لأبعد حد وحاولت معي بكل استطاعتك

وأنا بدوري حاولت صرفك عن عقلي وقلبي لكن لم أستطع

ذلك.

وعيونك تلك التي تحرق بي من خلالهما كانتا سبباً هاماً لأقع

في حبك، أولنقل لأقف في حبك فمثلك لا يجعلنا نقع بل نقف

بكل قوتنا.

ربما تلك العبارة ليست لي، ربما سرقتها من مذكريات إحداهن

لكني أعني كل كلمة قلتها لك الآن. أتمنى أن يكون خوفك قد

تلاشى.

كان أحمد قد توقف بالسيارة منذ بدأت رؤى الحديث عن شعورها

تجاهه لكنها لم تشعر بذلك إلا حين وجدته ينظر لها دون حراك وكأنّ

القطعة ابتلعت لسانه فضحكت بشدة مما جعله ينتبه ورد عليها:

- هل انتِ بخير؟

بالطبع

- لا أصدق أنكِ قلتي هذا أخيراً! لقد انتظرت لشهور

أردتك أن تطمئن، سأعود إليك. ربما لن أعود كما كنت لكن

تأكد أنني سأكون أفضل مما كنت عليه.

- أثق بذلك يا حبيبتي

سعيدة أنّ خوفك قد اختفى

- أنتِ رُوحي يا رُوِي. أنتظر اليوم الذي أضمك فيه بكل قوة

ليصل إليك شعوري.

بعد عقد القران يا عزيزي!

- أعلم ذلك.

مرّ الوقت سريعاً وأحمد ما زال يسترق النظرات لرؤي ليتأكد أنها

نفس الفتاه التي أخبرته أنها تحبه منذ لحظات.

وصلت رؤي إلى وجهتها وجاءت خالتها لترحب بأحمد الذي رفض

الدخول لأنه أراد العودة مبكراً لكي يعود للعمل.

أخبرت رؤي خالتها أنها ستذهب لإنهاء بعض الأمور القديمة لكن

عليها ألا تخبر أمها عن ذلك ووعدتها أن تعود قبل المساء واضطرت

خالتها أن توافق لأنها تعلم أنها فتاه عنيدة وفي جميع الأحوال كانت ستنفذ ما أتت لأجله.

خرجت رؤى تبحث في شوارع الإسكندرية عن العنوان الذي أعطته لها السكرتيرة وكانت تعلم أن الطبيب سيعاقبها على ذلك لكنها لم تستطع إقناع رؤى التي ظلت تخبرها أن الأمر هام ويتعلق بحياة بعض الناس.

أمضت حوالي ساعتين حتى وصلت للوجهة المطلوبة فترجّلت من السيارة ودفعت الأجرة ثم تقدمت تجاه باب المنزل الكبير الذي وجدت نفسها أمامه.

باغتها التردد كلما وضعت يدها على جرس الباب وكأن شيئاً ما يخبرها أن تعيد التفكير في تلك الخطوة لكنها بعد دقائق استجمعت الشجاعة الكافية لطرق الباب واستخدام ذلك الجرس.

خرجت سيدة ترتدي ما يشبه المريلة وسألت رؤى عمّن تريد فأخبرتها
أنّ لديها موعد مع دكتور نادر فتعجّبت مدبرة المنزل لأن الطبيب لا
يقابل أحد في هذا المنزل مطلقاً لكنها طلبت من رؤى الدخول
والجلوس في الصالة الكبيرة حتى تهاتف الطبيب وتخبره بمجيء
ضيافته.

جلست رؤى تحتسي القهوة التي أعدها أحد عمال المنزل وأثناء
شرودها في تكوين عذر مناسب لدكتور نادر، وجدت امرأة جميلة
تبدو في الأربعين من عمرها تتجه صوبها وتنظر إليها وكأنها تعرفها.
وقفت رؤى لكي تلقي التحية ومدّت يدها لكن تلك المرأة لم تفعل
بدورها بل أشارت لرؤى بالجلوس وبدأت معها الحديث:

- أهلا رؤى

أهلا بك، كيف تعرفين اسمي؟

- أخبرتي السيدة صفية بذلك حين أتيتي

أجل بالطبع، هل أعرفك؟

- لا يا عزيزتي. ليس بعد.

أخبرني دكتور نادراً أنه يعيش وحده، لم أكن أعلم أنّ لديه

زوجة

- لكنني لست زوجته، كما أنه في العادة يخبر المرء الطبيب عن

حياته وليس العكس

هل يمكنني معرفة علاقتك به؟

- إنه مظلّتي اللطيفة في الحياه

اندهشت رؤى من ذلك الرد، شعرت وكأن المتحدثة لديها طريقة

تعبيرية تشبه كلمات قرأتها في تلك المذكرات التي في حقيبتها.

قطعت السيدة شرود رؤى بسؤال لطيف عن الخاتم في إصبعها:

- هل تحبينه؟

في البداية لم أفعل لكن بمرور الوقت تعلّقت به

- هل قالها لك بعد؟ أنه يحبك؟

إنه يقولها أكثر مما يسألني عن حالي، ربما أسكب قهوتي مثلاً

فيخبرني أنها انسكبت لأنه يحبني.

- وماذا عنك؟ هل قلتها؟

صباح اليوم، كان خائفاً ألا أعود له فأخبرته أنني أحبه

وسأعود

- وماذا إن لم تعودني؟ من الذي سيدفع ثمن تلك الوعود!

كان السؤال مفاجئاً لرؤي لأنها لم تفكر في ذلك الأمر كما أن تلك

السيدة تسألها وكأنها انتزعت قلب أحمد ورحلت. لم تجد ما تقول

لكن كان عليها الرد.

- أخبرته أنني سأعود، إذا سأفعل بالتأكيد.

لا تنتهي كل القصص بالزواج، هل سمعتي عن غاده السمان

وغسان؟

ألم تستهويك قصة كافكا والصحفية ميلينا!

- بالطبع سمعت عنهم وقرأت الكثير من الكتب لكننا لسنا

مثلهم، أحمد سيحارب لأجلي إن لزم الأمر.

وماذا عنك؟ هل ستحاربين لأجله؟ أم ستقرري فجأة أنه لم

يكن الشخص المناسب وتهربين مع آخر!

انعقد لسان رؤى ولم تستطع الرد هذه المرة. شعرت وكأنها في موضع

اتهام. هل يبدو على ملامحها أنها لم تكن صديقة صباح اليوم؟ هل

يبدو أنها أخبرته شيء لم تشعر به بعد لكي يتوقف عن الحديث عن

الخوف!

هل تفضحها عينها إلى ذلك الحد! ومن تلك المرأة التي تبدو خبيثة

علاقات أولديها حاسة سادسة!

كل تلك التساؤلات التي أدت للصمت توقفت حين دخل الطبيب

واندهش بشدة حين وجد رؤى تجلس مع تلك السيدة. بدت على

ملامحه الذعر في البداية حتى أنه حين مدّ يده لإلقاء التحية على

رؤى تلعثم وخرجت من فمه: أهلا حبيبة!

نظرت رؤى إليه وقالت: كنت أتمنى ذلك لكنني رؤى كما تعلم

اعتذر نادر عن ذلك الخطأ وأشار إليها بالجلوس وهو ينظر إلى رفيقته

في المنزل التي لم يتسنى لرؤى التعرف عليها.

سأل نادر رؤى عن سبب حضورها العاجل

- أنتِ عنيدة للغاية يا رؤى، ألم أخبركِ أنني سأعود؟

أعلم لكن الأمر هام للغاية

- وما هو ذلك الأمر الهام للغاية!

وضعت رؤى يدها في حقيبتها وأخرجت المذكّرات وما إن رآها نادر

حتى وقف مندهشاً وأشار لرفيقته بالصعود للأعلى لكنها رفضت

ذلك فاضطر لأخذها إلى غرفة مجاورة لكي يتحدثوا.

شعرت رؤى بالفضول، لماذا أصابهم الفزع وكأنها أحضرت معها

قنبلة موقوتة!

قررت الوقوف خلف الباب وهي تعلم أنّ ذلك سلوك مرفوض بشدة

لكن لم تستطع منع نفسها.

وجدت الطبيب يربت على كتف رفيقته ويخبرها أنّ كل شيء على ما

يرام وأنه بمجرد رحيل رؤى سيشرح لها من هي ولماذا أخفى عنها

حقيقة وجودها.

شعرت رؤى بمجيء الطبيب فعادت إلى مقعدها وما إن أتى حتى

وقفت فذلك كان إنذاراً بالرحيل دون شك.

- رؤى، أعتذر عما حدث لكن عليك الرحيل الآن وأعدك أننا

سنتحدث حين أعود.

لكنني لم أقطع كل تلك المسافة لأعود خالية الوفاض!

- أعلم ذلك وأعلم أيضاً أنني أخبرتك أن تتوقفي عن الفضول،

ذلك الفضول سيكلّفنا الكثير بلا شك وأتمنى أن تنسي أمر

تلك المذكّرات أو تعطّيها لي وسأخفيها عن أعين الجميع.

بالطبع لا، أجد إخفاء الأشياء كما تعلم لكن سيكون عليك

الرد على أسئتي بدون شك.

وافق نادروطلب منها الرحيل والابتقى في الإسكندرية ليوم واحد

فعدت رؤى إلى خالتها خائفة وهاتفت أحمد لتخبره أنها عائدة

فطلب منها انتظاره حتى يأتي ليعيدها فوافقت على ذلك.

عاد أحمد لاصطحاب رؤى التي ظلت شاردة طوال الطريق تفكر

فيما حدث وفي عودتها المفاجئة التي فاجئت خالتها وسيكون عليها

الرد على كثير من أسئلة أمها بالطبع. ظلت تتساءل في صمت عن

المرأة التي كانت في منزل الطبيب ولماذا بدت على ملامحها الدهشة

والذعر في آن واحد حين رأت المذكرات في يد رؤى.

أيعقل أن تكون تلك من تفكرها؟ أيعقل أن تكون حبيبة!

إنها بلا شك حبيبة، لهذا يخفيها نادر عن أنظار الجميع ويكذب بشأن

وفاتها

ربما يخشى عليها من شيءٍ ما، ربما أخفى عنها كل تلك الاعوام

وأخفاها في بيته لأنه لا يريد أن يفقدها.

اشتعلت الأفكار في رأس رؤى فقررت العودة وعزمت ألا تعود إلى

بيتها من دون الحقيقة. لكن كيف ستفعل؟ وما الذي ستخبر أحمد

به؟

- أحمد

نعم يا رؤى

- علينا العودة

إننا في منتصف الطريق، هل نسيتي شيء؟

- كنا نتحدث أثناء المجيء عن عقد القران، أليس كذلك؟

أجل فعلنا

- حسناً، لنفعل اليوم

ماذا! لكن عائلتي لا تعلم ولا أظن أنك قد أخبرتي عائلتك

- بالطبع لم أفعل وأود أن يُعقد القران اليوم

هذه الأشياء ليست مزحة يا رؤى، لا تكوني مندفة.

- أحمد، سيُعقد القران اليوم أو لا للأبد!

أراد أحمد أن يخفف من توتر المشهد الذي يمرّ به فمازحها:

- ألهذا الحد مشتاقة لضمّتي؟

أنت تعلم أني لا أمزح، سنعود وسيتم عقد القران بحضور

خالتي وزوجها وصديق للعائلة وزوجته.

- سأتصل بعائتي لأخبرهم

كما تريد لكن تذكر، عقد القران اليوم.

عاد أحمد بها إلى بيت خالتها وطلبت منها أن تتصل بالمأذون فأرادت

خالتها أن تخبر أمها أولاً لكن رؤى رفضت وأخبرتها أنها ستتكفل

بذلك وذهبت لتتصل بدكتور نادر لتدعوه ورفيقتة إلى عقد القران.

رفض نادري في البداية لكن حين أخبرته أنه سيكون شاهداً وأن أبويها
لن يكونا حاضرين اطمئن قلبه قليلاً وأعطاهما الموافقة لكن دون
إحضار رفيقته معه.

ارتدت رؤى فستانها الأبيض وظلت تنتظر دكتور نادري رغم حضور
الجميع.

كانت تعلم أنه لن يحضر وحيداً بلا شك وأنّ تلك الرفيقة سيصيها
الفضول عن الشخص الذي اختارته رؤى ليكون زوجها.

كانت تعلم أنّ حبيبة سترافق نادري وأنه لن يستطيع أن يرفض ذلك.

بعد مرور بعض الوقت حضر نادري ومعه حبيبة وبالطبع لم يتعرف

عليها أحد نظراً لأنّ خالة رؤى لم تعرفها من قبل وأحمد كذلك كما

أنّ مرور عشرين عاماً يغير ملامح الناس ونادري قام بتغيير هوية حبيبة

بالكامل بعد انتشار خبر وفاتها.

جلس الجميع وألقى المأذون محاضرة عن الزواج وعن المودة
والرحمة والسكن بجوار أرواح نألفها ثم شرع بعقد القرآن.

- قل معي، إني استخرت الله

إني استخرت الله

- وزوجتك ابنتي وموكلتي

وزوجتك ابنتي وموكلتي

- البكر الرشيد، رؤى طارق عبد العظيم

البكر.....

لم يكمل زوج خالتها العبارة ذلك لأن صرخة اندهاش خرجت من

الحضور.

تلك الصرخة كانت لحبيبة التي قالت: طارق عبد العظيم!

أنتِ ابنة طارق!

حاول نادر السيطرة على الموقف لكن لم يستطع ذلك لأن رؤى
تقدّمت تجاه حبيبة فتلك كانت اللحظة المناسبة لرفع الكلفة عن

العلاقات.

كانت تعلم بلا شك انّ الأمر يتعلق بأبويها.

- أجل، انا ابنة طارق. هل تعرفيه؟

بالطبع أعرفه، هل أمك هي ملك؟

- نعم لكن كيف عرفت ذلك؟

لا أحد يعلم عنهم كما أفعل. يؤسفني أنك ابنتهم

- ماذا تقصدين بذلك؟

لا أقصد شيء، مُبارك يا رؤى. سيكون عليّ الرحيل الآن

وأتمنى أن نلتقي مرة أخرى.

نظرت حبيبة لنادر بأسف شديد لأنه أخفى عليها تلك الحقيقة

وهمّت بالرحيل لكنها وجدته يقف أمامها.

وجدت ذلك الماضي الأليم الذي حاولت ومعها نادراً أن يدفنوه وألا
ينظروا خلفهم لأي سبب.

كان طارق يقف أمام الباب منتظراً أن يفتح أحدهم فقد أمضى
دقائق يطرق لكن لم ينتبه أحد بسبب صوت الموسيقى.

رفع رأسه ليشكر من فتح الباب فوجدها هي، لم تختلف كثيراً بل
ازدادت جمالاً.

ما زالت عينيها تمتلك نفس البريق الذي خطفه في اللقاء الأول.

لكن لا بد أنه يتوهم فهي لم تعد في ذلك العالم، لا بد أن الحنين بلغ
معه السعي فصار يراها في وجوه جميع الحسنات.

خرجت رؤى خلف حبيبة وهي تردد أرجوك انتظري لكنها وجدت أبيها
يقف أمامها ويحدق بها وكأنه طفل عثر على أمه بعد البحث لأعوام

بينما تقف حبيبة دون أن تنطق بكلمة.

على أحدهم أن يكثر ذلك الصمت وكانت ملك من تكفّلت بهذا.

● ● ● ضمير الغائب _____

وجدت زوجها يقف متسماً أمام البيت بمحاذاة امرأة فاقتربت
للتحقق منها وأصابتها الصدمة فهي تعرفها جيداً. ربما لا يدركها
طارق لكن ملك تعرف أنها بلا شك حبيبة.

عُد إليها

ارفع عن قلبك مواطن الحرج ولا تقف في منتصف الاختيار.
لا تضع قلب تلك البريئة على الهامش ثم تعود بعد أعوام على أمل
أن تجدها مازالت بانتظارك.

"وقلباً صادقاً يرافقتك فتأمن"

تلك العبارة تحمل في طياتها الكثير من الحب

فالقلوب الصادقة هي المصدر الأول للأمان والأخير أيضاً

لذلك إما أن تكون صادقاً أو ارحل حتى يتسنى لذلك الصادق أن

يكون صاحب الخطوة الحقيقية.

أتى نادروأمسك بيدِ حبيبةٍ ثم أخبرها بصوتٍ منخفضٍ أنّ الأمر

أوشك على الانتهاء وعليها أن تنتظر لأجل رؤى ثم وعدها أنه

سيجعلها تنسى كل شيء حدث هذا اليوم وكأنه لم يكن.

دخل الجميع وتم عقد القران في مشهد الفرحة التي كانت تملأ أعين

الجميع ماعدا العروس التي كانت تنظر لحبيبة ولأبيها الذي أخطأ

لفظ اسم ابنته لأنه كان مشغولاً بالنظر لحبيبة التي جلست

ممسكة بيدِ نادرالذي وقف بجوارها متوتراً وكأنه يفكر في مخرج من

ذلك المأزق.

"الضمة الأولى هي الألف"

همس بها أحمد في أذن رؤى التي لم يفصلها عن ذلك العالم سوى

تلك الضمة.

ذلك الشعور بالأمان في وسط المعركة المحتدمة في صالون بيت

خالتها كان الألف على الإطلاق.

انتهت المناسبة ورحل الضيوف عدا الضيفين الأهم، نادروحبوبة.

طلبت رؤى من أحمد ان ينتظرها بالخارج في حديقة المنزل لأنه

سيتم نقاش بعض الأمور القديمة الخاصة بالعائلة ولا تريده أن

يشعر بالضغط أو الإحراج.

كانت خالة رؤى وزوجها يجلسان في ركن خاص بهم ينظران

لبعضهما وقد رُسمت على وجوههم علامات الاستفهام والتعجب.

أرادت حبيبة الرحيل لكن أوقفها طارق:

- حبيبة! أنتِ هي بلا شك. كنت أعلم أنكِ مازلتِ على قيد

الحياه.

لم ترد حبيبة بل كانت تحدد في وجه نادرا الذي علم أن إنكار

الحقيقة لا سبيل له بعد ذلك اليوم.

أكمل طارق:

- أعلم أنك صرتِ تكرهيني جدا ولن أطلب قدر من محبتك بعد

كل ما حدث لكن على الأقل بإمكانك أن تسامحيني.

اشتعل وجه حبيبة التي كادت أن تبتلع طارق من شدة الغضب

وقررت الرد عليه:

- أسامحك! في أحلامك.

ماذا عن شعوري الذي تلف؟ وعن نبضي الذي اختلف؟

ماذا عن قلبي الذي تناثرت شظاياها في أرجاء أوردتي!

هل يعوّضني عنهم طلبك للصفح!

ضع صفحك في سلة المهملات الأقرب إليك وأشعل فيه تلك

اللحظات التي أمضيتها في حبك وذلك العمر الذي بذلته في

الحنين إلى قلبك.

كانت رؤى تقف وفي عينيها الدهشة فقد بدأت الأمور في الوضوح.

يبدو أن أهلها خدعوا حبيبة وهذا يفسر الشفقة التي شعرت بها
تجاهها حين علمت أنها ابنة طارق وملك.

كانت ملك تقف صامئة بجوار الباب وكأنها تريد منع أي أحد من
الدخول أو الخروج لكن لم تعجبها اللهجة التي تحدثت بها حبيبة مع
طارق فقررت التدخل.

- مهلاً أيتها البريئة، هل أنهيتي حواراتك المزعجة؟ لا تدعي

اللطف وتجعلينا نبدو الأشخاص السيئة في روايتك.

دعينا نخبر الجميع الحقيقة. أخبرهم من التي عبثت في فرامل

سيارة والدها! من التي أودت بحياة أمها وأمضت الحياه

بأكملها تلوم الجميع.

أمسكت حبيبة بيد نادر مرة أخرى وبدا عليه أنه يعرف كل تلك

الأشياء لكن لم يتدخل وكأنه أعدها جيداً لذلك الموقف.

ردت حبيبة:

- أجل فعلت، كنت طفلة صغيرة لم أدرك خطراً ما حدث لكن

أنتم الكبار أدركتم جيداً ما سيحدث ولم تترددوا لحظة في

إيذائي.

مَنْ الذي وضع حساب الناس في يدك؟ مَنْ قال أنه عليكِ

عقابي على ما حدث مع أمي؟ هل كانت أمك؟ .. انها حتى لا

تتشرف بأن يكون لديها ابنة مثلك.

هنا اشتعل غضب ملك و اقتربت من حبيبة لتتشاجر معها

لكن حبيبة اختبأت خلف ظهر نادر فهو لم يعدّها للشجار

بالأيدي وهي تبدو كالقطة المرتعبة حين يقترب منها أحد حتى

أنها لم تمد يدها لتصافح رؤى في اللقاء الأول.

هنا كان على نادر أن يتدخل فطلب بنبرة غاضبة أن يتدخل

طارق وبعده زوجته حتى لا يضطر أن يبلغ الشرطة.

لم تتوقف ملك عن الثرثرة والصياح وكانت تطالب نادر بتفسير

لما حدث وإخفاءها في بيته كل تلك المدة وخداع الجميع أنها لم

تعد موجودة.

لم يرد نادر عليها وقرر إبلاغ الشرطة حتى تشعر حبيبة بالأمان.
انصرف انتباه نادر للهاتف للحظات قليلة فأحضرت ملك
سكيناً من المطبخ وأتت مسرعة لتحاول إيقافه فتحوّلت
حبيبة التي كانت تقف خلفه لتقف أمامه لكن تلك الطعنة
كانت من نصيب رؤى التي وقفت أمام والدتها وكأنها تخبرها
"أنا أحقّ بتلك الطعنة".

يا خريطتي وخطّتي وخاطرتي

مخطوطة رُوحِي وخبوطَ ذاكِرتي

يا منحة الرحمن ونبض عطوري

يا مَنْ إِلَيْهِ محبّتي وسطوري

يا ساكناً بين أضلعي تتنعم

في بعض قلبي وكل شعوري

أتت الشرطة وألقت القبض على ملك التي كانت تصرخ لأجل ابنتها
وتهدد حبيبة أنها ستعود لتقتلها إن لم يكن في تلك الحياه ستحاول
في العالم الآخر أيضاً.

جلس أحمد على الأرض أمام غرفة العمليات يضم ركبتيه إلى صدره
مرتجفاً وجلست حبيبة على الكرسي بجواره تربت على رأسه
وتطمئنه أنها ستكون بخير فهي فتاه مُحاربة وخير دليل على ذلك أنها
ابنة طارق وملك.

كان طارق يتحدث مع موظف الحسابات الذي أرسل الموظف إليه
ونادريقف أمام الغرفة بأيدي متشابكة ولم ينطق بحرفٍ واحد.
ظلّ الوضع هكذا لنصف ساعة ثم خرج الطبيب وأخبرهم أنها
تخطت مرحلة الخطر لكنها تحتاج للراحة وبإمكان شخص واحد
فقط الدخول بعد دقائق.

لم يرد أحد أن يكون ذلك الشخص هو أحمد لأنه لم يتمالك نفسه

بعد وبالطبع طارق لا يستطيع أن ينظر في وجع ابنته فقررت حبيبة

الدخول.

- كيف حال أميرتي الصغيرة؟

ردت رؤى بوهن شديد:

- لم أكن بحالٍ أفضل

مَن أخبرك أن تتلقي الطعنة عنّا؟ لم تود فتيات هذا الجيل أن

تفوز بدور البطولة!

- ومَن أخبرك أن تتلقي الطعنة عن الطبيب؟

هو حبيبي وطبيب قلبي كما تعلمين

- إذا لماذا لم تتزوجوا بعد!

لم يرد أن يضغط عليّ كما أنني أعيش مجهولة الهوية ولا يمكن

التزوير في أوراق الزواج فهي أوراق رسمية كما تعلمين.

ابتسمت رؤى لأنها تبادلّت أطراف الحديث مع حبيبة وسألتهما عن

أحمد.

- عصفور الحب يرتجف بالخارج

عصفور الحب!

- أحمد الخاص بك يبدو كالطفل الصغير وعجزت عن إسكاته

فتركت نادر معه ليقوم بعمله كطبيب نفسي.

عادت الممرضة وطلبت من حبيبة الانتظار بالخارج لبعض الوقت

حتى ترتاح رؤى فخرجت وجلست بجوار نادروني المقابل كان أحمد

يجلس مستنداً بظهره على الحائط وبجواره طارق الذي وضع رأسه

بين يديه وجلس منحنيّاً للأسفل وكأنّ بؤس العالم يقع على كتفيه.

مرّت ثلاث ليال أمضاها أحمد وطارق بجوار رؤى يتبادلان المقاعد
ولم يستطيعا النوم سوى لساعات قليلة بينما حبيبة ونادر عادا
للمنزل ولما يحاول أحدهما التحدث عما حدث رغبةً في عدم الشجار
وكان نادريعلم أنّ كل تبريرات العالم لن تكفي حبيبة لتعذر سبب
إخفاؤه معرفته برؤى وأنها ابنة عدوها الخاص "طارق".

حان وقت الرحيل من المشفى فأمسك أحمد بيد رؤى وحمل أبيها
الحقيبة التي كانت معها وذهبا إلى غرفة في فندق لأن خالتها بالطبع
قطعت معهم كل الأواصر بعدما حدث مع أختها.

قررت حبيبة زيارة رؤى دون إخبار نادر لأنها أرادت بعض المساحة
الشخصية وفضّلت أن تتحدث معها دون أن يقاطعها أحد.

قررت الذهاب في وقت تثق أنها لن تجد طارق وبالفعل اتفقت مع
رؤى وذهب بعد خروج أبيها من الفندق وبعد رحيل نادر من المنزل
أيضاً.

اطمئنت حبيبة على رؤى التي بدا عليها الكثير من الأسئلة فبادرت
بإخبارها ما أرادت أن تعرفه.

- أعلم أننا ندين لكِ بالكثير من الاعترافات.

كنت أحب طارق جدا ولم أكن أعلم أن ملك تحبه أيضا
كان عليها أن تخبرني بكل بساطة وكنت لأبتعد تاركة له مجال
الاختيار.

طارق كان لطيفاً بشكل مؤسف فوقعت أختي أيضاً في حبه
والأحمق لم يحاول أن يخبرها أنه لا يلاحظها حتى وأن ما تشعر
به مجرد إعجاب.

اللعين كان يمتلك عيوناً قاتلة يبدو حين ينظر إليك أنه

سينتشل قلبك من بين أضلعك.

أخبرتُ ملك بحُكم كونها صديقتي المقربة عن حادث أُمي لكنها
لم تحفظ السر وأخبرت طارق الذي لم يكثرث بالطبع مما أثار
حنق ملك فقررت انتزاعه بالطريقة الأسوأ.

كانت تعلم أنه تأتيني الكوابيس بسبب حادث أمي فقررت

استغلال ذلك واستخدمت حبوب الهلوسة في مشروباتي

المفضلة.

جعلتني أتوهم أنني مريضة وفي أيامي الأخيرة ونصحتني بزيارة

نادر لكي تتحسن حالتي النفسية.

علم طارق بما حدث لكنه لم يساندني لأنه كان يخشى أن

تفضحه ملك بعدما قامت بصنع بعض الصور لهما معاً

فاستسلمت لتهديداتها وشاركها جريمتها ولم يكثر سوى

لنفسه.

بمرور الوقت قررا الزواج وعزم طارق على الهرب ليلة الزفاف

في الزحام دون أن يشعر الحضور وحين علمت ملك بذلك

ظنت أنه سيهرب معي فقررت أن تتخلص من وجودي بشكل

نهائي.

لكن نادر علم بخطتها حين لم يجدها في منصة الزفاف فجاء

مسرعا وأخذني من المنزل وأحضرني إلى الإسكندرية.

ومن يومها لم أرَ لا طارق ولا ملك ولا حتى عائلتي.

علمت فيما بعد بأمر الزواج من الصحف لكن توقفت عن

تتبع أخبارهم بناءً على طلب نادر الذي أغدق عليّ بالكثير من

الحب والأمان لكن أوتعلمين شيئاً يا رؤى؟

يؤسفني أن أخبرك أن قلبي مازال ينبض لذلك الطارق لكن لا

اتمنى أبداً أن أجتمع به حتى في أحلامي.

أردت إخبارك أيضاً أنني دلفت إلى مركز الشرطة وسحبت

الشكوى ودفعت الكفالة وأمك في طريقها إلى هنا لذلك

سيكون عليّ الرحيل قبل أن يعلم نادر ويؤثر جنونه.

وقفت حبيبة لتودّع رؤى لكن أوقفها رؤى لتسألها:

- لماذا فعلتي هذا بعد كل ذلك الأذى الذي تعرّضتي له؟

فعلتها لأجلك يا عزيزتي ولأجل طارق فالطريقة التي جلس بها في

المشفى شارداً يفكر كيف سيخرجها من تلك الورطة أمتني.

تؤلمني فكرة تورط عينيه في الأرق، يؤلمني شرود ذهنه خاصةً
إن كنت السبب وتلك التهيئة التي خرجت من صدره اخترقت
قلبي رغم أنه لا يقوى على النظر إليّ.

- لم يكن عليك فعل ذلك، فعلاقة أبي وأمي هي الأسوأ وعلاقتي
بهما أيضاً فأبي مثلاً لم يعلم أنني أدرس الحقوق سوى العام
الماضي مُصادفة على طاولة الطعام.

لا أستغرب ذلك فالعلاقات التي تُبنى على أوجاع قلوب
الأخرين لا تستمر وإن استمرت يشوبها الكثير من الحزن
والأسف، تصير هشة ومهترئة.

- لم أحببتي أبي إلى هذا الحد؟
لأنه لطيفاً بشكل مؤسف كما أخبرتك

ودّعت حبيبة رؤى وعادت للمنزل فوجدت نادري في أشد موجات
الغضب وعمال المنزل يقفون أمامه مطرقين رؤوسهم فلا أحد يعرف

بمكان حبيبة

وما إن ظهرت حبيبة حتى اقترب منها ولم يدع مجالاً للحديث بل
صفعها بكل قوة حتى أنّ الواقفون تراجعوا من قوة الصفعة.
تلك كانت المرة الأولى التي يفعلها نادرو كانت حبيبة تعلم أنّ ذلك
بدافع الخوف وأنه كان عليها إخباره لا محاولة لكنها لم تستطع
تمالك دموعها التي انهالت أنهاراً على وجهها أثناء محاولة إخباره أنها

كانت عند رؤى

ولم تخبره لأنها كانت تعلم أنه لن يوافق على ذلك.
ضمّمها نادرو وأخذ يربت على كتفها ثم أشار للجميع بالرحيل إلى
أعمالهم.

أحضر مندبلاً من جيبه وشرع بمسح دموعها لكنها رفضت ذلك
وأخبرته أنها تريد أن تمسحها بنفسها هذه المرة فشعر حينها أنها لا
تريده معها في تلك اللحظة فاعتذروهم بالمغادرة لكنها طلبت منه أن
يجلس معها قليلاً لأنها أرادت الحديث.

قالت بصوتٍ مختلط بالنعيب:

- كنت دائماً تخبرني أنك ستبقى بانتظار اليوم الذي أوافق فيه
على الزواج منك، أردت أن أخبرك أنّ اليوم مناسباً وهذا
بالطبع إن كان يناسبك.

لم يصدق نادراً سمعه فطلب من حبيبة أن تعيد تلك العبارة على
مسامعه مرة أخرى فكررته متبوعة بكلمة "أحبك". كان يجب دائماً

أن أفعل

استنفذ الماضي الكثير من وقتي وروحي حتى ظننت أنه لن يكون
بمقدوري أن أشعر مرة أخرى لكنني في الآونة الأخيرة شعرت بك.

شعرت بقلبك الذي نبض لأجلي دائماً وأنا كنت كالحمقاء ظللت

أهيم على وجهي منتظرة الخلاص على يد الشخص الأضعف على

وجه الأرض

إنه لا يستطيع إنقاذ نفسه. يتعلق بقشة الحب التي تشير إليه بها كل

عابرة.

لا يمتلك الشجاعة الكافية ليقرر أن يكون قلبه لواحدة فقط.

أما عنك، فقد نلت القدر الكافي من اسمك وكنت ومازلت نادراً.

شعر نادر بسعادة غامرة لأنه تم تتويج انتظاره بالنجاح بعد كل تلك

الأعوام.

وأخيراً صار قلب الحبيبة له.

أخيراً صار من قاطني مدينتها.

إليكِ يا عزيزتي،

اختاري ذلك الذي لا تهونين على قلبه

ذلك الذي لا يستبدلكِ ولو بكنوز العالم

شخصاً يستحق أن يمسك بيدك ولا يفلتها أبداً

سندك وملكك الذي تستندي باعوجاجك عليه

مرتكز أمانك وحبك الذي لا يميل

تملاً المودة والرحمة قلبه

يُعقد قران قلبك على قلبه ويردد الحاضرون "بارك الله لكما"

أمنيته التي كتبها الله لك وتخصك وحدك

لا تدفني رأسك في أحضان رجل لا يكثر سوى لنفسه

رجلاً يراك حقاً مكتسباً أو تركته ورثها عن جده الأكبر

وأما عن القطار، لعنة الله عليه وليفوتك بقدر ما يفوتك إن لم يكن

إلى الوجهة التي تستحقين.

إن لم يكن إلى رجل يتق الله في قلبك.

سيظن البعض أنك حاملة فلا تكثرني لهم وانتظري حتى يتحقق

الحلم

سيرى بعضهم أنك تُلفين قلبك بتلايف الحنين لشخص ما

أشعلي النار في أفكارهم التي بارت واجعلي منها مصدراً لتدفئتك.

ختمت حبيبة مقالها وارتدت فستاناً لطيفاً أرجواني اللون من

اختيار نادرو خرجت لتجلس بجواره ممسكة بيده وحين انتهى عقد

القران وقف الجميع ليباركوا للعروسين ومعهم طارق الذي حضر

بصُحبة ابنته رؤى وزوجها

اقترب من حبيبة وقال "مُبارك"

التفتت له حبيبة وقالت "سيكون كذلك بلا شك"

تبادلت حبيبة ورؤى التهاني وجلسا يتحدثان عن أحمد الذي كان يقف وحيداً بجوار النافذة ويسترق بعض نظرات الحب لرؤى.

أخبرتها رؤى أنها قررت أن تسافر هي وأحمد إلى أي دولة عربية وأنّ أبيها قد وافق رغم رفض أمها بل قام بإقناعها أيضاً.

طلبت رؤى السماح من حبيبة بالنيابة عن والديها فأخبرتها أنها سامحتهم في اللحظة التي علمت بها أنها ابنتهم.

استأذن طارق نادر قبل الرحيل وأخبر ابنته أنه سيلتقي بهم بعد ساعة ونظر إلى حبيبة للمرة الأخيرة فنظرت له بأسف ثم أشاحت بنظرها تجاه زوجها نادر.

● ● ● ضمير الغائب _____

اليوم التالي للزفاف كان الأفضل فتلك المرة الأولى التي تشعر فيها

حبيبة أنها تنتمي لذلك المكان.

مرّت في أرجاء المنزل تنثر العطور وتسقي الزهور وتفتح جميع

النوافذ.

و حين همّت بفتح النافذة الكبيرة الموجودة في صالة المنزل وجدت

عبارة مكتوبة باللون الأحمر على زجاج النافذة:

"احذري، قد يكون أقربهم إليك خائناً"

"ليس من العدل أن يحظى وحده بالحب و أقف أنا في منتصف

الكراهية لا يبالي أحد بشعوري.

حين رأيته بعد أعوام كانت تلك المرة الاولى التي شعرت فيها بنبضي

يعود إليّ.

فكرت في الانتحار كثيراً لكنني كنت أخشى على قلبها الحزن.

أنا أعلم أنها مازالت تحبني، رأيت ذلك في عينها حين التفتُّ لها

لأودّعها قبل أن أرحل. ربما نالت عليها أحضانها لكنها مازالت في

صميمها ترغب أن أكون أنا.

أمضيتُ الأعوام الأخيرة أبحث عن ملامحها في جميع النساء وحين

كبرت روى كنت أتلاشى النظر إليها لأنها تشبهها بشدة.

يؤسفني أنها ليست معي".

ترك طارق رسالته على مكتبه ورحل دون إخبار أحد عن مكانه.

وقعت الرسالة في يد مدبرة المنزل التي كانت تحفظ قصة المنزل عن
ظهر قلب فأخذتها لحبيبة التي بدورها علمت من الكلمة الاولى أنها
كانت من طارق.

قرأت حبيبة الرسالة وكانت السيدة تجلس أمامها تحتسي كوباً من
الشاي

وما إن أتمّت حبيبة القراءة حتى مزّقت الرسالة وألقتهما في السلة
التي كانت بجوارها.

رأها نادر فسألها عما فعلته.

- فعلت ما كان يجب أن أفعله من البداية لكنني تأخرت قليلاً

ابتسم نادر وخرج من المنزل بعد إلقاء التحية على السيدة التي كانت
تجلس مع حبيبة.

سألها السيدة عن سبب فعلها ذلك فقالت لها حبيبة:

تلك المشاعر التي يظن طارق أنها مازالت بداخلي صارت في طي
النسيان وأنا الآن زوجة شخص آخر ولا يمكنني أن أخونه حتى
بالذاكرة.

أعلم مكان طارق، أعلم المكان الذي يذهب إليه حين يختار الوحدة
وأجد أنّ ملك محظوظة لأنّ تلك الرسالة لم تقع في يدها.
كانت لتثور غضباً ثم تهيم في أرجاء الإسكندرية بحثاً عنا ولن تجد
سوى أشلاء قلبها المحطّم يغطيها تراب المدينة. يا لتلك الفتاه
الحزينة!

فهمت السيدة قصد حبيبة واستأذنت بالرحيل فودّعتها حبيبة ثم
ذهبت لترد على الهاتف:

- مرحباً

مرحباً سيدة حبيبة

- من معي؟

عثرنا على سيارة وبها شخص تعرّض لحادث كان رقم هاتفك

هو الرقم الأخير الذي هاتفه.

تلّقت حبيبة عنوان المشفى وذهبت مسرعة فمهي لا تعرف صاحب

الرقم ولا تعرف سبب اتصاله بها.

ظلت الأفكار تتوارد إلى رأسها، هل كان ذلك طارق؟!

حين وصلت للمشفى تلقت خبر وفاة الشخص الذي أتت بشأنه

وطلبوا منها التعرف عليه فدخلت وهي ترتجف فالموقف في غاية

الصعوبة.

وضعت حبيبة يدها على قلبها وحين رفعوا الغطاء عادت إليها

أنفاسها

ذلك لم يكن شخصاً تعرفه لكنه بالتأكيد كان يعرفها وهذا سبب

اتصاله بها.

طلبت أن ترحل فسمحوا لها على أن يتصلوا بها في حالة الحاجة
لإفادتها.

عادت حبيبة وهي تتساءل عن هوية الشخص الذي يبدو أنه كان
على وشك إخبارها بشيء هام لكن لم تسعفه الحياه.
هاتفها رؤى لتطمئن على حالها وتزف إليها خبر حملها السعيد وأنها
فتاه

- وماذا قررتي أن تسميها
حبيبة، قررنا أن تكون حبيبة

● ● ● ضمير الغائب _____

حان موعد اللقاء يا عزيزي

لنلتقي في هذا العالم أولاً

ضمير الغائب

